

# حرية المرأة في الإسلام

( كتبت خصيصا لمجلة المعرفة )

بقلم الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوان

رئيسة تحرير مجلة فينكس

نشرنا في الجزء الأول من المعرفة . القسم الأول من مقال حضرة الكاتبة الفاضلة نصيرة الشرق والشرقيين مدام دى سان بوان . وقد تناولت فيه الكلام على معنى الحرية وأثرها في الغرب وانتقال ذلك الأثر إلى الشرق ، والانقلابات التي نتجت عن محاكاة الشرق وتقليده للغرب ، ومنزلة كل من الرجل والمرأة من الآخر ، وتأثير المرأة المسلمة بالمرأة الغربية ومسألة الزي و (المودة) والسفور والحجاب ، وموقف الشريعة الإسلامية من ذلك كله .  
والآن ننشر القسم الثاني ، وفيه نتناول السيدة الكلام على الزواج والطلاق ونعدد الزوجات والصداق وحقوق المرأة والعمل المنوط بها ..... الخ

المحرر

## الزواج .

لقد حرمت المرأة المسلمة حق اختيار زوجها الذي ترضيه ، وذلك لأنه لا يسمح لها برؤية خطيبها قبل الزواج ، ومع أن النبي (ص) لم يأمر بذلك فإن هذا أصبح عادة واجبة الاتباع . على أن العادات كثيرا ما تتغير .

لكن . هل حقيقة تختار المرأة الغربية زوجها ؟ الواقع المشاهد هو عكس هذا تماما ، إذ اختيار الزوج أمر لا يقع إلا في أحوال نادرة جدا ، والنادر منطقيا لا حكم له ، بل أكثر مما تقدم أن أمر الزواج يفرض على المرأة الغربية فرضا تاما ، وذلك إما بتحكم العلاقات العائلية أو الثروة المادية أو المركز الاجتماعي ، أو ظروف أخرى كثيرة من هذا القبيل ، وإذن فاختيار الزوج لا حقيقة له ، وإنما هو وهم وخيال إذ يبنى على مصالح عائلية بحثة

والذين درسوا مسألة الزواج جيدا ، يرون أن الزيجات المختارة المبنية على الحب أو مايسمونه «زواج الحب» تفقد بهجتها بعد وقت قليل ، وعلى الخصوص إذا لم تراعى فيها الاعتبارات الأخرى التي تثبت دعائم الزواج .

### مسألة الطلاق

في الممالك الكاثوليكية لم توجد فكرة الطلاق إلا في هذه الأيام الأخيرة وهذا حينما اعتبر الزواج المدني قانونيا ، لأن المذهب الكاثوليكي يعتبر الزواج رابطة مقدسة لا يمكن أن تفصم عراها بأية حال .

وليس الزواج في الإسلام مقدسا ( بذلك المعنى الكاثوليكي الذي يفهمه الأفرنج من كلمة مقدس ) ولهذا يقع الطلاق كثيرا ، ويكون في معظم الحالات لصالح الرجل ، لكن يجب ألا يعزب عن بالنا أن حقوق المرأة المسلمة محافظ عليها بأقصى ما يستطيع . فقد قال الله تعالى « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم . لا تخرجن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . الآية » (١)

وقد راعى الإسلام وجوب الاحتفاظ بالمرأة حتى ولو كانت فاسقة . فقد فرض للأخيرة ملجأ خاصا لها في المنزل حيث قال تعالى « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلا » (٢)

فهل توجد هذه الحقوق لغير المسلمات ؟ كلا ثم كلا .

### مسألة تعدد الزوجات

يعيب البعض على الإسلام مسألة تعدد الزوجات ، ولكن الإسلام في الحق خلو من هذا العيب ، وبريء من تلك التهمة . فهو لم يفرض ذلك فرضا وإنما أباحه فقط ، وذلك لأن الزمن الذي كان فيه النبي (ص) كان للرجل العربي

عدة زوجات غير محدودات العدد ، فجاء الإسلام مقللاً منهن بتحديد عددهن فقال تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » (١) وكذلك قال تعالى « وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً » (٢)

وتعدد الزوجات ليس قانونياً في البلاد الغربية . لكن هناك ما هو أشد وأذكى إذ توجد فيها صلات غير شرعية بين الرجل والمرأة مانتزال شائعة يرون ألا غضاضة فيها ، حتى أن الأخلاقيين أنفسهم لا ينكرونها بل يعتبرونها حقاً للمرأة ، وقد جعل للرجل في البلاد الأوروبية امتياز في الزواج كالموجود في البلاد الإسلامية ، وقد تسبب من تلك الصلات الشرعية أن أصبح الأطفال غير الشرعيين يعتبرون من أبناء الأسرة

وفي الوقت الذي نجد فيه أن مبدأ تعدد الزوجات قد بدأ يتلاشى تدريجاً ، نجد في أوروبا عكس ذلك تماماً ، وخاصة بعد الحرب الأخيرة ، التي قى فيها عدد كبير من الرجال ، فأصبح النساء في كل قطر يفقن كثيراً عدد الرجال ، ونجد أن هذا المبدأ بدأ يذيع فيها - ولو أنه غير قانوني - إلا أن الناس هناك بدأوا يرونه ضرورة لازمة

ولكن الإسلام الذي هو دين الفطرة ، والذي بنى على أحسن الأسس ، وجاء ليقرر لكل فريق ما يناسبه من تعدد الزوجات بشرط القدرة والعدل في المعاملة . أباح وسهل ذلك لتكاثر النسل ، وارتباط المجموع بالمصاهرة . مع العلم بأنه حدد ذلك بحدود لا تتعدى

### الصداق

الصداق في الغرب غيره في الشرق . ففي الدين المحمدي قرر على الزوج

(١) راجع سورة النساء آية ٣ (٢) راجع سورة النساء آية ١٢٩

أن يدفع لزوجها مبلغاً من المال لأصلاح شأنها وقضاء لوازمها وهذا مناقض جد التناقض لتلك العادة عند الغربيين . فالمرأة عندهم هي التي تدفع قوماً تختلف بحسب الثروات ، وهو ما يسمونه (دوطه) أي مهر . ومن تمام مهمة الزواج في الإسلام أن يبقى للزوج في ذمة زوجها ثلث الصداق تتقاضاه منه بموت أو طلاق أو غيرهما قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . الآية ) (١) وقال تعالى في السورة نفسها ( وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً . أتأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً ) (٢) ولقد تسخر عظيم السخرية . بل وتزدري المرأة الغربية بالمرأة المسلمة في هذا الموقف الذي تعتبره الأولى أنه عبارة عن مساومة يبيعاً وشراء ، كأن الزوج أعطاها ذلك القدر من المال لشرائها ، أو أنه استخلصها لنفسه متاعاً كبقية أمتعة أثاث البيت ، وهي واهمة في ذلك ، فليس ذلك المهر إلا معونة وحقق فرضه الشارع للزوجة كما بينا آنفاً . بينما أن المرأة الغربية بدفعها (الدوطة) تعتقد أنها تشتري زوجها . إذ في أوروبا تعطى المرأة الصداق لزوجها حتى إذا طلقت صار ملكاً لها . هذا إذا لم يكن الزوج سرقة قبل ذلك ؟ وهو غير مكلف بأن يوضح أوجه صرفه لزوجها . هذا إذا كان عقد الزواج عقداً شرعياً كما يحدث أحياناً . أو عقداً عرفياً

### حقوق المرأة

أكثر من هذا أن للمرأة المسلمة حق امتلاك وإدارة ثروتها الخاصة بها . كما أن المحكمة تأخذ بشهادتها في القضاء ولها الحق أيضاً — إذا أمكنها — أن تشغل وظائف كثيرة لم تكن منحت للغربيات ، ولم يحصلن عليها إلا تدريجاً ، منذ سنوات قليلة بخلاف المرأة الغربية فأنها تظل تحت وصاية زوجها .

فليس لها الحق في استلام دخلها . أوفتح حساب لها في المصارف حتى ولا يمكنها أن تودع فيها حليها بدون أخذ تصريح من زوجها . وإذا كانت أرملة . أو مطلقة واحتاجت لعمل مثل هذه الإجراءات فعليها الحصول على أوراق رسمية كثيرة تثبت مركزها

هذه بعض أمثلة لحقوق المرأة الغربية التي تحسدها المرأة المسلمة المتحضرة عليها . وقد كان النساء في أوروبا قبل الحرب ، وعلى الأخص في المدن الصغيرة قلما يخرجن منفردات من المنزل . بل كن يقين دائما داخله وقد وضعت المرأة الغربية نصب عينها التسلط على رب العائلة ، وهذا أقل ظهور عرفت به كيف تملى على الزوج إرادتها

المرأة والعمل

أجهدت الحرب الأفكار وتغلغت عادات الشعب الأمريكي - الحديث العهد الذي ليست له تقاليد - في أوروبا وأثرت فيها حتى غيرت كل شيء وبعبارة أخرى كان الفرق قبل الحرب ضئيلا بين حياة المرأة المسلمة ، والمرأة الأوروبية . فكان لكل منهما مكانها الطبيعي في المنزل ، والمرأة المسلمة على الأخص امتيازات أكثر .

والآن فللمقارنة بينهما يجب أن نلاحظ انتشار صالات الموسيقى والسينما ، والرقص ، وغير ذلك ، ثم الملابس القصيرة الفاضحة ، وكل هذا الترف الذي لا يعد من الجمال الروحي في شيء والذي ماهو إلا مظاهر خداعة وأبهة كاذبة ، وإن كانت في نظر بعضهم من أهم الملاذ

ولكن ماذا يستتر وراء كل ذلك ؟ إنه جشع لانهاية له للمال ، ولأطفاء شهوة الحرية والحقوق ، ولأجابة هذه الرغبة تخلص النساء من وصاية أزواجهن ، وقيدن أزواجهن بقيود أخرى كانت أثقل من الأولى وجعلن أنفسهن عبيد العمل والراتب ، وحياة الكسب والآلات ، وأصبح على الكثيرات منهن أن يخضعن لرئيس العمل ، بدل أن كن يخضعن للزوج والآب ، وأن يجبن كل رغباته حتى

لا يفقدن وظائفهن . يحدث ذلك بينما العالم لا يزال يتمسّدق بمحو الرقيق ، وقد نسي أن المرأة العاملة لا تمتلك أقل نصيب من حريتها

ولأجل أن يستر الناس هذا العار يستار من المظهر الجميل أذاعوا ما يسمى (شرف العمل) وكلمات أخر جوفاء ، وأين ذلك الشرف ؟ أفى العمل الارغامى المرهق الذى يؤدى إلى المصالح المادية ؟ أف له من شرف أفأذا اضطّر الانسان للعمل فوجب عليه الخضوع لكل ما يرغم على عمله ، له أن يفخر به ؟ لقد مضى الزمن الذى كانت تستعمل فيه القوى العقلية والروحية استعمالا شريفا فأن حياة الكسب لا يمكن أبدا أن تكون مثلاً أعلى يتخذها النساء . بل ما هو إلا إرغام مرهق ، والمرأة المسلمة تعرف ذلك حق المعرفة

و ذلك الاندفاع من المرأة على ميدان العمل خارج المنزل ، وهو ما اضطّر إليه الكثيرات منهن ، لم ينتج غير الخسارة وخلق صناعات عديمة الفائدة تساعد على ضياع المال ، ومزاحمة الرجل فى عمله ثم استحالة وجود عمل للكثيرات ولا يخفى ما فى ذلك من إجهاد قوى المرأة العقلية والجسدية معا . بخلافها فى منزلها فأنها كانت مقسمة للعمل بينها وبين الرجل تقسيما طبيعيا . فعليه كسب المال ، وعليها تدير أمور المنزل . ولكنها باحتلالها مكان الرجل فى الحياة الخارجية ( ولا تنس أن البوليس النسائي بدأ ينتشر ) صارت مقيدة الحرية فى واجباتها نحو أطفالها ومنزلها ، ولم يكن لديها من الفراغ ما يكفي لتنظيم حياتها الداخلية ، كما كانت المرأة فيما سلف تجمع حولها وقت فراغها كل أفراد الأسرة : بعضه للمسامرة والآخر للقراءة ، وجزءاً لباقي العمل حسب النظم المنزلية فى جميع الأسر كل على حسب عاداته ، وما يلائم أفراد الأسرة على حسب الميول والآهواء

وقد يعترض البعض بأنه لا يزال هناك نساء يجندن أنفسهن مقيدات بالتقاليد الماضية ، ولكن الشخصيات القوية لا يمكن أن تحتق . فقد وجدت مثل هذه الطبائع فى كل العصور . ولم تشرع القوانين للشواذ ، ولكن للحالات

المطلقة . فكم ألوف من النساء العاملات لا يعادلن امرأة واحدة نبغت في علم أو فن . أو حصلت على بطولة ما ، وكيف يمكن أن يسرن في العمل الآلى إلى ترقية المدارك العقلية ؟ ففي هذا العمل المذكور ليس الذكاء ضروريا للبرأة إلا في حالات نادرة جدا . أليست الكتابة على الآلة الكتابة طول النهار ، بل طول الحياة مكدة للذهن أكثر من الحياكة وتنظيف المنزل وهما نوعان من العمل اليدوى لا يمنعان العقل من التفكير والتخيل ؟ أوليس العمل الآلى قد أضاع التعمق في العلم والتخصص فيه ؟

واختصارا فإن كل مايولد الجاذبية في المرأة المسلمة المتحضرة في هذه الأيام ، إن هو إلا مخلفات فاسدة خلفتها الحرب الماضية للبرأة الأوربية ، فكانت من أهم الأسباب لذيوع ( المودة ) بين النساء ودخولهن ميدان العمل اليدوى في المصانع الكبيرة . كما كان لها أيضا أثر غير مباشر في انتشار الصور الفاضحة في ( السينما ) مثل مناظر النساء العاريات أو القبلات المثيرة . وهل ثمة ما هو أكثر إفسادا للأخلاق وهدما لدعاماتها من تلك الفضائح الذائعة التي تستر باسم الفن ؟ والنفس بطبعها لا تميل إلى الجديد في أول الأمر كل الميل . فإذا ماتذوقته تدريجا صار في النهاية محببا إليها

ليس الإفراط في اللهو بذى خطورة عظيمة لأن الخطأ الواضح من الممكن أن يفكر الإنسان في أبعاد صغار السن عنه ، ولكن ثمة ما هو أعظم خطرا ، وهو ما يستتر تحت اسم الدراسة والفن ، وهذه المظاهر التي تحيط به وتدعو إلى احترامه ، ينتشر ويعم تدريجا بوسائل خفية كالداء المعدى الشديد الخطر

العادات الغربية والشرقية

إن التربية الغربية لا تلائم أبناء الشرق بحال ما ، كذلك الفنون الغربية لا توافق المزاج الشرقى مطلقا ، وما يقال عن هذين يقال عن الحياة الشرقية التي لا يمكن أن تبنى على أسس غربية

للعالم الإسلامى ثقاليده وعاداته التي تلائم روحانيته العالية وعقليته الفذة

وطبائع شعوبه وأجواء أقاليمه . وإن الشعب الذي يقلد ما هو مخالف لطبيعته يفنى نفسه تمام الفناء ، ولقد يعتبر جريمة نقل بزور العقلية الغربية المركبة إلى أرض الروحانيات والعقلية الخاصة الطاهرة ، وهذا الاعتبار حق تماما ، إذ أن ذلك جريمة ضد الشرق بل ضد الأنسانية ولو أمكن للشرق أن يحمي نفسه من تلك الإباحية وهاته الفوضى الأخلاقية ، التي تنتشر في الغرب فإنه ينقذ النوع الأنسانی كله .

وهذا ما ينبغي للمرأة المسلمة أن تتيقظ له فتغلق بابها عن كل ما يأتي من العادات الأجنبية التي تأتي من الخارج ، كما يجب عليها أن تتعلم التعليم الشرقي البحت لتكون خير رفيق لزوجها ولتعرف كيف تحفظ أبناءها وبناتها من ذلك الاندفاع الأعمى الذي كان له أسوأ الأثر في الغرب والذي كاد يقتل الشرق قتلا ولتمنعهم من أن يصيروا كما صار كثير من أبناء المصريين الذين لم يأخذوا من الغرب إلا عيوبه ، ولم يحتفظوا من الشرق إلا بنقائصه ، والذين أدى هذا الخلط بين العادات بالكثير منهم إلى الاتحار وعلى الأخص فئة الطلبة .

### واجبات المرأة

أولا - أول واجب على المرأة المسلمة أن تحتفظ بقواعد دينها الحنيف وتقوى إيمانها السليم ، وتطيع شريعتها السمحاء ، ولتعلم أن إبقاءها على جزء من تقاليد قومها غير كاف البتة ، خصوصا وهي على وشك السقوط في هاوية التقاليد الغربية ، فإذا أرادت إنقاذ نفسها فعليها بالرجوع إلى كل التقاليد الشرقية الخالصة ، ولتعلم كل العلم بأنى أقصد الكل لا البعض لأن البقاء على البعض دون البعض الآخر ليس له قيمة مطلقا

أما رأيي فيما يجب عمله لمقاومة الإباحية الغربية ، فهو ينحصر في أن يقام صرح الأخلاق الشرقية على أسس ثابتة ودعائم قوية من تلك الشريعة السمحاء التي جاء بها النبي العربي محمد بن عبدالله (صلعم) واضحة نقية طاهرة بينة ، والتي استخرج منها كل القوانين التي تصلح لأئمة وأسس لها التقاليد التي أنتجت للأسلام عظمتها

وعلى النساء الشرقيات أن يدرسن علم التاريخ بتوسع . وحيث سيعرفن تمام المعرفة أن الشعب الذى كانت له تلك العظمة وكان له ذلك الماضى المجيد ، يجب ألا يجعل نفسه مطية لمدينة أخرى أقل من مدينته ، أو يقتنى أثر حضارة فقدت مثلها الأعلى منذ آخر العصور الوسطى ، والى بنسبائها للبادىء القديمة صارت متميزة بتغلب روح الفردية الشريرة التى نتجت من انتشار العلوم التجريبية المادية والتى أغرقت العالم فى بحار الترف المادى ، وجعلته معولا لهدم كل قديم فيه

ويجب على المرأة المسلمة أيضا أن تدرس الفنون الإسلامية الحقة لا الأفرنجية الزائفة ، وإذن فلا تقيم فى دار من تلك الدور التى تبنى على طراز (المبانى الأمريكية) بل تسكن القصور الكبيرة ، أو الدور الصغيرة المقامة على الطراز الشرقى البديع . كذلك يجب ألا تؤسسها بتلك العرائس المضحكة ، أو الأذوات الغربية المستعملة ، أو تزينا بتلك الصور التى لا توقظ فى نفس الشرق شيئا مامن روح الفن ، بل يجب عليها أن تتخذ أثارها وزخارفها ذات الشكل الشرقى الساحر التى يستبدلها الآن كثير من الناس بمشيلاتهم الغربية دون تبصر ، أو تفهم للحقائق ، وإنما تبعا للتقليد الأعمى المردول .

كما يجب عليها أيضا أن تحتفظ بملابسها الخاصة كأمراة شرقية وأن تحتفظ بعاداتها وطريقة مأكلاها ، فإذا تعلمت وأرادت دراسة فن الرسم مثلا ، فلا تلتفت إلى تلك اللوحات المائية الغربية ، بل توجه هممتها إلى نقش الآيات القرآنية وتسعى فى إتقانه وتعمل على اتخاذها قبسا تهتدى بنوره ، أو تنسج السجاد وتزينه بالنقوش الإسلامية .

أليس هذا عملا أكثر نبلا من الكتابة على (الآلة الكاتبة) أو كتابة مراسلات الاعمال ، أو الانزواء ساعات محدودة داخل مكتب ما ؟ أليس عملها فى البيت أشرف مقصدا وأنبل غاية ، من أى وظيفة تشغلها فى الخارج ، ولو كانت من أهم وظائف المرتبة الأولى ؟

وأخيرا فإن الأوضاع مهما كانت والقوانين مهما اختلفت فيجب ألا ننسى أن القدر السىء يوجد في كل زمان ومكان ، وذلك لأن الإنسان ليس معصوما من الخطأ ، وكما يوجد الحظ السىء يوجد إلى جانبه السعادة التامة والخلاصة هي أن للحرية مظاهر مختلفة والانسان لا يكون حرا إلا عند ما يتخلص من القيود الاجتماعية التى تحيط به ولا يصير حرا إلا إذا تمتع بالسلام والهدوء

وفى ظل « الحريم » يوجد الهدوء والسلام ، والنساء المسلمات إذا شغلن فراغهن تبعا للتقاليد الإسلامية يصبحن أصحاب النفوذ فى المنزل وهذا ما فقدته المرأة تقريبا فى البلاد الأوربية . وينبغى أن يعرفن أن فوق القوى المادية توجد قوى أخرى نبيلة عالية تتسلط على المادة وتسمو على كل ما هو مادى ، تلك هى روح الحقائق الباطنية

فهل لنساء الإسلام أن يكن حاثات على القوى العلوية وهل لهن أن يعرفن أنه لا يمكنهن أن يجدن الحرية إلا فى الكائن الباطنى ؟  
هذا رأي أجملته لمجلة المعرفة التى أرجو لها كل نجاح وفلاح ؟  
ف . دى سان پوان

( المعرفة ) تتقدم الى حضرة السيدة الفاضلة ( مدام دى سان پوان ) صاحبة البحث بمجزيل الشكران على عظيم عنايتها بطرق هذه الموضوعات الحية ، وتوفيتها لها بحثا وتنقيا ، وغيرتها على الشرق ونسائه ، ونسجل لها بمجداد الفخر والاعجاب آيات الشاء وخالص المدح

ولا عجب فى هذا ، اذا علمنا أن حضرة الكاتبة المذكورة هى حفيدة ( لامرتين ) شاعر فرنسا العظيم الذى تذكره الأمة الفرنسية بوافر التجلة والاحترام بل العالم أجمع يقرر فضله ونبله ولا ينساه ؟